أسماء سبع دركات جهنم ومحلها في القرآن الكريم

(دراسة تحليلية دلالية)

Names of the Seven Stages of Hell and their place in the Holy Qur'an.

Dr. Rana Aman Ullah
Assistant Professor, Arabic Department, NUML Islamabad
raullah@numl.edu.pk

Muhammad Qasim Junaidi
Lecturer, Department of Islamic& Arabic Studies
University of Swabi
qasimjunaidi2014@gmail.com

Abstract:

As Muslims believe that justice is the main concern of Islam, it is necessary that people should get justice in this world and the hereafter. So, to believe in the Doomsday is the fundamental part of their faith. The Holy Quran emphasis that the present life is only a trial case for the humans. And on the basis of this life, their deeds(good and bad) would be judged in the next world. To encourage the piety and to eliminate the vices from society , the lord has fixed a day after this worldly life where He would reward

the pious people and punish the transgressors. The holy Quran has mentioned various names and attributes of Hell to inculcate the fear of Hell in the mind of evil doer. Allah Almighty has mentioned seven stages of Hell for different infidel groups. This article addresses different names and attributes of Hell semantically.

Key Words: Doomsday, transgressors, piety, Hell.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، واتباعه إلى يوم يبعثون. وبعد.

المدخل :

أطلق القرآن الكريم على النار مسميات كثيرة ، وهذه المسميات في حقيقة أمرها لا تطلق على جميع النار وإنما هي أوصاف أو أجزاء أو طبقات فيها ومن هذا وجب دراسة كل مصطلح على حدة.

ونحن في هذا الموضع سنحصر الدراسة بالألفاظ التي قيل عنها أنها أسماء للنار وهي ليست كذلك إنما هي دركات فيها "وإنما قلنا دركات ولم نقل درجات لاستعمال العرب لكل ما تسافل "درك " ولماعز و جل "درج" فيقال للجنة درج وللنار أدراك"[1]. "والدرك الطبق ، والنار دركات سبع بعضها فوق بعض ، وسميت طبقاتها دركات لأنها متداركة متتابعة ، فالمنافق في الدرك الأسفل منها وهي الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله"[2] أما في ترتيب هذه الدركات فقد وقع الخلاف في ذلك بين العلماء وذلك لعدم وجود نص من الصحة بمكان يحسم هذا الخلاف.

فعن علي كرم الله وجهه قال " أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيملي الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى يملي كلها"[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما "أنها جهنم والسعير ولظي والحطمة وسقر والجحيم والهاوية وهي أسفلها"[4].

وعن ابن جريج قال: النار سبع دركات ، وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، فأعلاها للموحدين والثانية لليهود ، والثالثة للنصارى، والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين، والسابعة للمنافقين ، فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها ثم كذلك.

وعن الضحاك أنها قال : "في الدرك الأعلى المحمديون وفي الثاني النصاري وفي الثالث اليهود وفي الرابع الصائبون وفي الخامس المجوس وفي السادس مشركو العرب وفي السابع المنافقون"[5].

"وقد تسمى جميع طبقات النار باسم الطبقة العليا "جهنم" مجازا،"[6] وذلك من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل.

ومن دراسة آيات النار نجد أنها مناطق ومنازل ، كل منزلة تختص بصنف من الناس ، "فاختصت لظى بأنه لا يصلاها إلا الأشقى ، واختصت سقر بمن لم يكن من المصلين، وكانوا يخوضون مع الخائضين ونحو ذلك من أحوال النار ومنازها"[7]

وفي تفاوت درجات العذاب يقول النبي صلى الله عليه وسلم "منهم من تأخذه النار إلى ركبته، منهم من تأخذه النار إلى حجزته"[8] ، "ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته"[9]

"فهذا يدل على أن العذاب يختلف باختلاف العمل. فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمنهم منهمك مستكثر كالغريق فيها، ومن فائض فيها إلى حد محدود فكذلك تناول

النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة. فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان ، بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه"[10].

إن أكثر لفظ ورد في القرآن الكريم يدل على النار بعمومها هو لفظ "النار" وقد ورد 116 مرة ، وعلى هذا فإن هذا أريد من النار كل النار على اختلاف طبقاتها وأصنافها قيل "النار" وإن إريد طبقة أو جزء منها عين ذلك.

1. جهنم:

وقد فصل القرآن كل هذا فأولى طبقات النار "جهنم " "وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي التي تخلى من أهلها فيصفق الرياح أبوابها"[11] وقد ذكرت جهنم 77 مرة في القرآن الكريم ومن ذلك قوله عزوجل :

﴿"ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا"﴾ [12] وقال أيضا: ﴿"هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ"﴾ [13]

واختلف المفسرون في أصل جهنم فقال بعضهم أنها عربية وأنها مشتقة من قولهم بئر جهنام ، للبعيدة القعر[14].

وقال بعضهم "أنها عربية مأخوذة من التجهم والتكره، يقال جهم الوجه أي كريه الوجه"[15].

"أما الفريق الثاني فقد ذهب بالقول على أنها أعجمية"[16].

والذي نميل إليه هو الرأي الأول القائل بعربية اللفظة لأن لها استعمالا عند العرب.

وفي الحديث الشريف إشارة إلى خروج أقوام من جهنم ودخولهم الجنة فأصبحوا يسمون " الجهنميون " وفي هذا دلالة على أن جهنم هي الطبقة الأولى التي يعاقب بها المسلمون ، فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميون"[17]

إن الدقة التعبيرية في قوله عزوجل:

﴿"وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ"﴾[18]

لتبيين رعوته في رسم الصور، فلم يقل وقال الذين في النار لخزنتها مع أنه أخضر. والجواب لأن في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا. "وقيل إن جهنم هي أبعد النار قعرا وخزنتها أعلى الملائكة الموكلين بالنار مرتبة، فإنما قصدهم أهل النار بطلب الدعاء منهم لذلك"[19].

وقد تطلق جهنم والمراد جميع النار ومن ذلك قوله عزوجل:

﴿"وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ"﴾ [20]

2. لظى:

وقد ذكرت "لظى" مرتين في القرآن الكريم.

وإذا انتقلنا إلى مشهد آخر لوجدنا طبقة أخرى، وهي المتمثلة في قو له عزوجل :

﴿"كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى"﴾ [21]

قال القرطبي "واشتقاق لظى من التلظي ، والتظاء النار والتهابها ، وتلظيها تلهبها ، وقيل كان أصلها "لظظ" أي ما دامت لدوام عذابها، فقلبت إحدى الظاءين ألفا فبقيت لظى"[22] وفي ترتيبها قال بعض المفسرون "أنها "الدركة الثانية" من دركات النار"[23]. وفي سورة الليل، قال سبحانه وتعالى :

﴿"فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى "﴾ [24]

وفي هذا الصنف من العذاب تفصيل طويل ، فقد ذكر القرطبي أن أبا إسحاق الزجاج قال "هذه الآية التي من أجلها قال أهل الإرجاء بالإرجاء"[25] وأهل الإرجاء: هم المرجئة ، وهم حركة من فرق الإسلام ، يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة ، فزعموا أنه لا يدخل النار إلا كافر، لقوله عزوجل ثناءه ،

وليس الإمر كما ظنوا . فهذه النار موصوفة بعينها ، لا يصلى هذه النار إلا الذي كذب وتولى. ولأهل النارمنازل ، "فمنها أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار"[26].

وفي هذه الآيات يقول الزمخشري " فإن قلت كيف قال تبارك و تعالى:

﴿"لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى"﴾ [27]

وقد علم أن كل شقي يصلاها ، وكل تقي يجنبها ، لا يختص بالصلي أشقى الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأتقياء، وإن زعمت أنه نكر النار فأراد نارا بعينها مخصوصة بالأشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الأتقى – فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة.

الجواب : الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتنافضتين فقيل الأشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق إلا له ، وقيل الأتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له ، وقيل هما أبوجهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضى الله عنه[28].

قال الرازي: في الآية وجهان :

الأول : أن يكون المراد بقوله " نارا تلظى نارا مخصوصة من النيران ، لأنها دركات لقوله عزوجل:

﴿"إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا"﴾[29]

فالآية تدل على أن تلك النار المخصوصة لا يصلاها سوى هذا الأشقى ولا تدل على أن الفاسق وغير من هذا صفته من الكفار لا يدخل سائر النيران.

الثاني: أن المراد بقوله عزوجل " نارا تلظى " النيران أجمع ، ويكون المراد بقوله تعالى: "لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى"

أي هذا الأشقى به أحق ، وثبوت هذه الزيادة في الاستحقاق غير حاصل إلا لهذا الأشقى[30].

وللتوصل إلى المعنى المراد من الآية لا بد من معرفة " الإصلاء" بعد معرفة " التلظى " فالمصلى في اللغة أن يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ، ثم يعمدون إلى شاة فيدسوها في وسطه بين أطباقه ، فأما ما يشوي فوق الجمر أو على المقلى أو على التنور فليس بمصلي ، فإذا عرفنا معنى التصلية لغة وأنها أشد أنواع الإحراق بالنار،وفي علمنا أن الناس عند أهل السنة ثلاثة أصناف ، مؤمن صالح فائز ، ومؤمن عاص ، وكافر، وأن المؤمن الفائز يمر على النار فيطفئ نوره لهبها ولا يؤلم بمسها البتة ، وإنما يردها تحلة القسم ، والعاصي إن شاء الله تعذيبه و مجازاته فإنما يعذب على وجه النار في الطبقة الأولى باتفاق حتى إن منهم من تبلغ النار إلى كعبه ، وأشدهم من تبلغ النار إلى موضع سجوده فيحسه ، ولا يعذب أحد من المؤمنين بين أطباقها البتة بوعد الله عزوجل ، والكافر هو المعذب بين أطباقها فتبين لنا أن النار لا يصلاها ، أي لا يعذب بين أطباقها إلا الكافر وهو الأشقى ، لأن المؤمن العاصي لا يبلغ مبلغه الشقاء ، وأن المؤمن الفائز وهو الأتقى بالنسبة إلى المؤمن العاصي يجنب النار بالكلية لأن ورودة تحلة القسم لا يصل إليه منها ولا ألمها ، وأن المؤمن العاصي الذي ليس بالأتقى ولا بالأشقى لا يصلاها ولا يجنبها بالكلية ، لأن ورودها تحلة القسم بل يعذب فيها لا بالصلي[31].

3. الحطمة:

وقد ذكرت "الحطمة "مرتين في القرآن الكريم.

وفي قوله عزوجل: ﴿"كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ"﴾ [32]

قال المبرد " أنها النار التي تحطم كل من وقع فيها ورجل حطمة أي شديد الأكل يأتي على زاد القوم ، وأصل الحطم في اللغة الكسر . وقال مقاتل : هي تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب[33].

أما عن ترتيبها بين الدركات فقال البعض أنها " الثالثة"[34] وقيل هي " الدركة الثانية " من دركات النار[35].

وفي فائدة ذكرها في هذا الموضع ذكر الرازي وجوها عدة في ذلك وهي :

الأول : الاتحاد في الصورة كأنه عزوجل يقول : إن كنت همزة لمزة فوراءك الحطمة.

والثاني : أن الهامز بكسر عين ليضع قدرة فيلقيه في الحضيض فيقول عزوجل وراءك الحطمة ، وفي الحطم كسر، فالحطمة تكسرك وتلقيك في حضيض النار لكن الهمزة ليس إلا الكسر با لحاجب ، أما الحطمة فإنها تكسر كسرا لا تبقي ولا تذر.

والثالث: أن الهماز اللماز يأكل لحم الناس والحطمة أيضا تـأكل الجلد واللحم ، ويمكن أن يقال ذكر وصفين الهمز واللمز ، ثم قابلها باسم واحد وقال خذ واحدا مني بالاثنين منك فإنه يفي ويكفي ، فكأن السائل يقول كيف يفي الواحد بالاثنين ؟ فقال إنما تقول هذا لأنك لا تعرف هذا الواحد فلذلك قال الله تبارك وتعالى : ﴿" وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ"﴾[36]

4. السعير:

وقد ذكرت "السعير "11 مرة في القرآن الكريم.

وإلى طبقة أخرى تظهر لنا في آيات عديدة هي " السعير" لقوله عزوجل:

﴿"وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ"﴾ [37]

قال ابن عاشور: والسعير اسم صيغ على مثال فعيل بمعنى مفعول من : سعر النار ، إذا أوقدها وهو لهب النار ، أي أعددنا للشياطين عذاب طبقة من أشد طبقات النار حرارة وتوقدا، فإن جهنم طبقات . وكان السعير عذابا لشياطين الجن مع كونهم من

عنصر النار لأن نار جهنم أشد من نار طبعهم ، فإذا أصابتهم صارت لهم عذابا .
وتسمية عذابهم السعير دون النار، أو جهنم مراد لهذا المعنى ومثله قوله عزوجل في عذاب الجن : ﴿"وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ"﴾ [38]

وقال تبارك وتعالى أيضا:

﴿"إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ"﴾ [39] يعني الشيطان[40]

والسعير: هي الطبقة الرابعة ومن معاني سعر الواردة : الجنون،

ففي قوله عزوجل:

﴿"إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ"﴾ [41]

روى السجستاني عن بعضهم " في ضلال وسعر ، في ظلال وجنون ، يقال ناقة مسعورة إذا كان بها جنون "[42]

وقال الزمخشري : السعر الجنون ، يقال " ناقة مسعورة "[43]

والذي نراه أنه لا مانع من اجتماع هذه المعاني في هذه النار الموصوفة ، بهذه الصفة ، فالسعير هي النار الموقدة والتي من شدة توهجها وتوقدها وشدة ألمها يصبح المعذبون به كالمجانين فهم فاقدوا الوعي ، وهم من الحيرة والتيه بمكان ، فأشبه حالهم حال الناقة المسعورة التي تركض على غير هدى ، وتسير إلى غير غاية . وكل هذه الصور يعكسها التعبير القرآني في وصفه النار ب" السعير".[44]

5. سقر:

وقد ذكرت "السعير "4 مرات في القرآن الكريم.

سقر منزلة أخرى من منازل النار حيث قوله عزوجل :

﴿"سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ"﴾ [45]

وقوله عزوجل أيضا:

﴿ "يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ"﴾[46]

وسميت "سقر" من سقرته الشمس : إذا أذابته ولوحته ،وأحرقت جلدة وجهه ، ولا ينصرف للتعريف والتأنيث [47]. واللفظ والمعنى يوحيان لنا شدة الألم الذي يسببه العذاب بها .

أما عن ترتيبها بين الطبقات فقد خصها بعضهم بالطبقة الخامسة.[48]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه الطبق السادس ، وهذا ما نقل عن ابن عطية أيضا[49]

ومن الأوصاف المذكورة نستلهم شدة هذه الطبقة:

﴿"وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ"﴾ [50]

فهذه مبالغة في وصفها ، أي وما أعلمك أي شيئ هي ؟ وهي كلمة تعظيم ، ثم فسر حالها فقال تعالى :

﴿"لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ"﴾ [51]

أي لا تترك لهم عظما ولا لحما ولا دما إلا إحراقته.

وقيل :لا تبقي منهم شيئا ، ثم يعادون خلقا جديدا ، فلا تذر أن تعاود إحراقهم هكذا أبدا.

وقال مجاهد : لا تبقى من فيها حيا ولا تذره ميتا، تحرقهم كلما جددوا.

وقال السدي: لا تبقى لهم لحما ولا تذر لهم عظما،[52] ثم قال الله عزوجل :

﴿"لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ"﴾ [53]

أي مغيرة ، من لا حه إذا غيره . قال أبو رزين : تلفح وجوههم لفحة تدعها أشد سوادا من الليل، وقاله مجاهد . والعرب تقول: لاحه البرد والحر والسقم والحزن: إذا غيره[54]

﴿"عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ"﴾ [55]قال الزمخشري " أي يلى أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكا. وقيل صنفا من الملائكة ، وقيل : صفة . وقيل نقيبا،[56] وهذا الوعيد الأليم يتلاءم والجرم الذي ارتكبه المخصوص به ، فالآيات نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي على ما قاله أهل التفسير[57]، قال عزوجل :

﴿"ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ"﴾ [58]

فالوليد فكر في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ، فهيأ الكلام واتهم الرسول بالسحر بعد أن شرح لقومه ضعف الادعاءات الأخري.[59]

فكان من الملائم أن يصلى إلى "سقر" النار العظيمة التي أعدت لكبار المجرمين. ولو تعدينا هذه الآيات إلى ما بعدها لوجدنا ذكر هذه الطبقة يتكرر ولكن في موضع آخر. وحال أخرى ، قال عزوجل :

﴿"إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ"﴾ [60]

فالأعمال الإجرامية التي ارتكبها هؤلاء جعلتهم مستحقين ل" سقر" وأهلا لها .

6. الجحيم :

وقد ذكرت "الجحيم "26 مرة في القرآن الكريم

والطبقة الأخرى من طبقات النار هي " الجحيم" ، لقوله عزوجل :

﴿"وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ"﴾ [61]

وقال أيضا:

﴿"وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ"﴾ [62]

فالجحيم في هذه الآيات لها تعبير آخر وصفت به نار الآخرة لشدة تأججها وحرها[63] . من قولهم جحمت النار إذا اضطرمت[64] . وحجر جاحم إذا اشتد اشتعاله[65].

قال الأعشى:

بمشعلة يغشى الفراش رشاشها   يبيت لها ضوء من النار جاحم[66]

أي ضوء نار متوقد شديد الحرارة [67].

والجحيم هو المكان الذي تنبت فيه شجرة الزقوم ، وقد دلت آيات القرآن الكريم على ذلك، قال عزوجل :

﴿"إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ"﴾ [68]

وقال عزوجل في سورة الدخان :

﴿"إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ"﴾ [69]

وقال عزوجل في سورة الواقعة :

﴿"ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ"﴾[70]

ثم عاد فقال في نفس السورة:

﴿"وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ"﴾ [71]

فهذه الشجرة لا تخرج إلا في الجحيم ، وجعلت فتنة للكافرين ،

قال عزوجل :

﴿"وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا"﴾ [72]

والشجرة الملعونة " وهي الزقوم تنبت في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة أي وما جعلناها إلا فتنة لهم حيث أنكروا ذلك ، وقالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ، ثم يقول ينبت فيها الشجر ، ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا، حيث كابروا قضية عقولهم.[73]

7. الهاوية :

قد ذكرت " الهاوية" في القرآن الكريم مرة واحدة.

بقي لنا أن نذكر الطبقة الأخيرة السفلى من طبقات النار، وهي " الهاوية" وهي الطبقة السابعة ، قال عزوجل:

﴿" وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ"﴾[74]

فقد ورد في تفسير الهاوية أنها سميت كذلك لأنها عميقة يهوي من يرمي بها إلى قعرها العميق.[75]

وقال الزمخشري : وكأنها النار العميقة لهوى أهل النار فنهيا مهوي بعيدا ، كما يروى " يهوي فيها سبعين خريفا"[76] أي فمأواه النار وقال قتادة ، فإمه هاوية ، أي فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأن يطرح فيها منكوسا.[77]

ونقل أبو حاتم الرازي تفسيرا وهو قولهم أن التسمية وردت هكذا لأنهم يهوون فيها أبدا" يعذبون لا يستقرون ، ولا يجدون قرارا فهيم يهوون ، وهو مأخوذ من الهواء بين السماء والأرض ، كأنهم أبدا في الهواء لا قرار لهم،[78]

والهاوية أيضا : المكان المنخفض بين الجبلين الذي إذا سقط فيه إنسان أو دابة هلك يقال " سقط في الهاوية،[79]

وأمه مأواه على التشبيه كأنها تتشوق إلى ضمه إلى صدرها على نحو ما تتشوق الأم إلى ضم ابنها وأخذه بين ذراعيها ومعانقته.

نرى مما سبق أن لكل لفظ معنى يدل عليه ، فلا تدل كل تلك المسميات على معنى واحد، وإن وقف فهو من باب المجاز لا الحقيقة.

المصادر والمراجع

[1] يقظة أولي الاعتبار ــ في ذكر النار وأصحاب النار ــ صديق حسن خان ، تصحيح : زكريا علي يوسف ، مطبعة الإمام مصر ، ص: 76

[2] المصدر نفسه ، ص: 26-25

[3] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، ، 53/14

[4] يقظة أولي الاعتبار، صدق حسن خان ، ص: 40

[5] المصدر نفسه ، ص: 76

[6] المصدر نفسه ، ص: 26

[7] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد المختار الشنقيطي 1400ھ -1980م، عالم الكتب بيروت، 263/9

[8] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين القاهرة، طبعة ثانية 1402ھ ، باب حجز

[9] شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو شرح النووي على صحيح مسلم ، أبو زكريا محيي الدين بكر البيهقي (المتوفى:458ھ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، 18/17

[10] إحياء علوم الدين ، الإمام أبو حامد الغزالي، المكتب الثقافي، الأزهر القاهرة، الطبعة الأولى 1423ھ 2003م.531/4

[11] يقظة أولى الاعتبار،، صدق حسن خان، ص: 76

[12] الإسراء/18

[13] يس/63

[14] الاشتقاق ، أصمعي 14/ 396

[15] الزينة ، الرازي ص: 212

[16] الصحاح ، الجوهري، 9/ 1892 ، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، الطبعة الآخيرة/ 1381ھ ، ص: 101

[17] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422ھ، عدد الأجزاء: 6 ، 418/11

[18] غافر/49

[19] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - 1420هـ ،75/27

[20] الحجر/44-43

[21] المعارج/16-15

[22] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671 هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : 1423 هـ/ 2003 م. ، 287/18

[23] المصدر نفسه ، 287/18

[24] الليل/16-14

[25] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، 81/20 ،

[26] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، ص: 87

[27] الليل/16-15

[28] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري ، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة 1407 هـ، عدد الأجزاء: 44/ 764

[29] النساء/145

[30] التفسير الكبير ،الرازي، 31/ 204

[31] الكشاف ، آلوسي ، 4/ 764

[32] الهمزة/5-4

[33] التفسير الكبير ،الرازي ، 32/ 94

[34] يقظة أولى الاعتبار،صدق حسن خان ، ص: 40

[35] التفسير الكبير ، الرازي ، 32/ 94

[36] الحطمة / 5

[37] الملك/5

[38] سبأ/12

[39] فاطر/6

[40] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، عدد الأجزاء: 30 ، ص29

[41] القمر/47

[42] غريب القرآن ،محمد السجتاني، مطبعة التوفيق الأدبية ، مصر 1924م، ص: 136

[43] الكشاف ، الزمخشري ، 3/ 184

44 التعابير القرآنية والبيئة العربية ،ابتسام مرهون الصفار، ط الأول، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ، 1387ه، ص: 218

45 المدثر/30-26

46 القمر/48

47 الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي ، 51/19

48 يقظة أولى الاعتبار،صدق حسن خان ، ص: 40

49 التفسير الكبير ، الرازي ، 202/30

50 المدثر/27

51 المدثر/28

52 الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، 77/19

53 المدثر/29

54 الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، 77/19

55 المدثر/30

56 الكشاف ،الزمخشري ، 650/4

57 الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي ، 71/19

58 المدثر/27-11

59 الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، 78/19

60 المدثر/47-39

61 المائدة/10

62 الواقعة/94-92

63 جامع البيان عن تاويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ،لبنان ،1408ه ، 1/ 571

64 الصحاح، الجوهري، 5/ 1883

65 جمهرة اللغة ، ابن دريد ، ط :الأول، 1344ه، 59/2

66 ديوان الأعشى، الأعشى ، دار صادر، بيروت ، ص : 81

67 التعابير القرآنية ، ابتسام مرهون الصفار، ص: 214

68 الصافات/68-64

69 الدخان/47-43

70 الواقعة/54-51

71 الواقعة/94

72 الإسراء/60

[73] تنوير الإذهان ،محمد على الصابوني ، ط الأول، الدار الوطنية للنشر، بغداد، 1410هـ، 353/2

[74] القارعة/11

[75] جامع البيان ،الطبري، 183/30

[76] صحيح مسلم بشرح النووي،مكتبة زهران، 102/18

[77] الكشاف ،الزمخشري ، 4/ 79

[78] الزينة ، الرازي ، 212/2

[79] التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، 30 / 515